حقيقة العلم الأعجمي في القرآن الكريم عند الشيخ أطفيش

دراسة في تيسير التفسير

The Truth of Foreign Knowledge in the Holy Quran by Sheikh Atfeesh
A Study in Facilitating Interpretation

إبراهيم عبد الهادي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

Abdelhaditebbou@hotmail.com

مروى عمرة*

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

amra-maroi@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/17 تاريخ القبول 2024/11/16 تاريخ النشر 2024/12/17

الملخص:

يختلف الدارسون من العلماء والمحققين حول قضية وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن، وماتزال القضية قضية جدلية فلم يفصل فيها القدماء لتتعدى إلى دراسات المحدثين ، وإذا كانت آيات بينات من الذكر الحكيم تنص صراحة على أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ليرتكز عليها من ينفي وقوع اللفظ الأعجمي؛ فإن حكاية القرآن الكريم نفسه لبعض الأعلام الأعجمية كما كانت في السنتها شاهد على القضية عند الطرف الثاني ممن يروم الإثبات، وقد ساهمت جدة بعض العلوم في عصرنا الحديث في تنامي الجدال واضطرامه والعلوم هنا نقصد علم اللغة المقارن، والفصائل اللغوية والأطالس اللغوية

* المؤلف المراسل

وغيرها، وفيما يلي دراسة للقضية عند علم من اعلام الجزائر وهو أطفيش من خلال مدونته تيسير التفسير.

الكلمات المفتاحية: أطفيش، تيسير التفسير، العلم، الأعجمي، العربية.

Abstract:
Scholars and researchers differ on the issue of the occurrence of foreign words in the Qur'an, and the issue is still a controversial issue that the ancients did not decide on, so that it would extend to the studies of modern scholars. If there are clear verses from the wise remembrance that explicitly state that the Qur'an was revealed in clear Arabic, for those who deny the occurrence of foreign words to rely on, then the narration of the Holy Qur'an itself to some foreign scholars as it was in their tongues is evidence of the issue for the other party who seeks proof. The novelty of some sciences in our modern era has contributed to the growth and intensity of the debate, and here we mean comparative linguistics, linguistic factions, linguistic atlases, and others. The following is a study of the issue by one of the scholars of Algeria, Atfeesh, through his blog, Tayseer Al-Tafseer.

Keywords:
Atfeesh, Tayseer Al-Tafseer, Science, Foreign, Arabic.

توطئة:

إن أهم ما ينماز به الإنسان هو كونه كائنا ناطقا، واللغة بذلك لازمة لهذا الكائن لا يستعاض بها إلا بلغة الإشارة والسيميولوجيا ولكن لا يمكن أن نستغني بشيء من السيمياء عن اللغة البتة، من أجل ذلك تعود بداياتها الأولى إلى عهود ضاربة في القدم متجذرة تجذر الحضارات والأمم بل حيكت ونسجت بداياتها مع أول مخلوق على هذه البسيطة.

ومن الصعوبة بمكان أن نتتبع تقلبات اللغة العربية عبر العصور وتبلورها في النصوص وفي النقوش لتجذر تاريخ اللغات السامية وتداخلها بله تماسها واحتكاكها فنقاط التماس للغة العربية مع غيرها متعددة عبر العصور كما يثبت علم اللغة المقارن وفقه اللغة سواء

تعلق التماس بأخواتها الساميات أو بغيرها من اللغات الهندوأوربية والحامية بقدر تقاطع الحضارات وتجاور الأمم.

وأقرب هذه التواشجات عهدا ما وقع في دولة الأندلس حين احتكت اللغة العربية بالإسبانية والبرتغالية، ولا نعدم تداخلات وشيجة بين اللغة العربية والعبرية والحبشية السريانية والآرمية والآشورية يشتغل بها فقالغة اللغة، وقد يتعدى هذا التداخل إلى اللغات اللاتينية واليونانية القديمة عند الأب انستاس ماري الكرملي بله اللغات الحديثة التي كانت نتاجا للغات القديمة، من أجل ذلك وضع علماء اللغة أسسا وعلامات للفظ الدخيل لينماز عن الأصيل.

وإذا كان تطور الحياة وتناميها قضى على الكثير من الألفاظ وأماتها كما أميتت الفاظ من صميم اللغة فبقيت مطمورة في بطون المعجمات وبقي علم الاشتقاق دالا عليها، فإن هذا الارتطام الحضاري يتيح الاقتراض اللغوي ويأذن للمصطلحات أن تتسلل إلى حدود اللغات وتتبوأ مكانها في معاجمها بين الألفاظ ووجب على علم اللغة أن يرصد كل ذلك ويجاريه عبر علم المصطلح وغيره من العلوم.

وكلام ربي هو المدونة الفسيحة التي كانت ولا تزال معينا لا ينضب للدراسات، وهو أكبر شاهد على كلام العرب وأسلوبه؛ ذلك لأنه اتخذ من كلام العرب كما كان في مدوناتهم من شعر ونثر أسلوبا لخطابهم ولإقناعهم بالإعجاز اللغوي، فهو الشاهد على أحوال اللغة، والدال عليها لأنه أخذ من الكلام أصفـــــاه وأنقاه، وذل بصدق على كل ظاهرة لغوية بالوصف الظاهري أو بالتأويل.

ومدونة تيسير التفسير لمحمد بن يوسف أطفيش خير مثال على مذاهب العلماء والمفسرين في قضية الألفاظ الأعجمية في القرآن أعلام وغير أعلام، لأن الرجل من خلال تفسيره رجع إلى صنوف الدارسين جميعها من نحاة و فقالغة و عمالغة وفقهاء وأصوليين ومفسرين بله الشعراء وشعرهم، فكانت المدونة مجمعا لمختلف الآراء، ومرجعا لمختلف

الشواهد التي تبين بحق حقيقة هذه الظاهرة، فتفصل فيها أو تدع للقارئ اللبيب حق الرأي والاستخلاص بعدما تضع أمامه الظاهرة مكشوفة بأدلتها المنقولة والمعقولة السماعية والقياسية.

أطفيش:

هو محمد، ويرد اسمه في مواطن عدة بصيغة أمحمد بالهمزة المفتوحة قبل الميم، وإذا قيل لنا ما سر هذه الإضافة قلنا بأن المراجع تقول إن الهمزة تضاف من قبل الشيخ لتمييز اسمه عن اسم محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لصرف ما قد يتعرض له الشيخ من سباب وشتم وتعريض عن شخص الرسول الأكرم[1] – صلى الله عليه وسلم– ولقبه أطفيش وربما أطفياش، وهو لفظ بربري باللهجة الميزابية مركب تركيبا مزجيا، معناه: "أطف" خذ، "أيا" تعال، "يش" أو "أش"، كل. ثلاثة مقاطع بهذا الترتيب، وربما هو كناية عن الجود والكرم في هذه العائلة.[2]

اشتهر الشيخ أطفيش عند الإباضية بلقب القطب، حتى أصبح لقبا مقصورا عليه، وليس لهذا اللقب بهذا الإطلاق معنى من معاني الصوفية بقدر ما يدل على مكانة الشيخ، وعلى كونه مرجعا للإباضية وقبلة الدارسين،[3] وقد ذكر الشيخ بنفسه أن الشيخ السالمي العماني هو من أطلق عليه هذه الكنية، وذلك لما بينهما من اتصالات وعلاقات، وإن كان أطفيش أسن من السالمي، والدكتور أبو القاسم سعد الله انطلق من نقاط متشابهة واهتمامات مشتركة بين الرجلين حينما راح يعقد المشاركة بينهما.[4]

وهو أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمان بن عيسى بن إسماعيل أطفيش، وينتهي نسبه إلى الحفصيين العائلة المالكة بتونس (1229– 1574م)، ثم يصل نسبه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–[5] تعزى إلى الشيخ هذه الأبيات:

وناظم الأبيات من بني عدي يتصل اتصال يوم بغد

مع اجتماع في عدي بعمـر وبالنبي في لؤي وزمر[6]

يشير الشيخ أطفيش في العديد من كتبه إلى جده الأعلى الشيخ محمد بن عبد العزيز بن بكر بن يحي بن موسى الحفصي من ذرية عمر بن الخطاب، يقول: ونسبي في بني عدي من العرب، ولساني بربري موافق للعربية إلا قليلا،[7] ولا شك أنه سلك في هذا منهجه العام الذي اتخذه لنفسه بأن نسب أكثر القبائل الميزابية إلى البيئة العربية، ولعله تابع ابن خلدون حين نقل نسب الحفصيين إلى بني عدي.[8]

تختلف الدراسات حول تاريخ ميلاده؛ بعضها يقر بأنه ولد 1236هـ، و أخرى تقول إنه ولد سنة 1237هـ، ولكن الدكتور مصطفى وينتن يقول إن ميلاده كان في سنة 1238هـ - 1821 لا قبل هذا التاريخ على سبيل التحقيق،[9] لقول الشيخ نفسه في سنة 1876هـ إن عمره نيف وعشرون سنة، وقد قدر النيف بتسعة أعوام، وهذه الطريقة في التحري وجيهة مهما كان عقباها؛ لأن من يتمسك بسنة 1236هـ سنة لميلاده ينطلق من نقطتين أولهما إجماع المصادر على هذه السنة، والثانية إجماع المصادر على تاريخ وفاته مع وقلهم بأنه عاش 96 سنة، ومن الدراسين من يغرب قليلا فيذكر أن مولده كان سنة 1243، ومن يتصل بمكتبته يعلم أنه لا فصل إلا لمن تمكن من الاطلاع على مجمل مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة.[10]

وقد عمر طويلا وامتدت حياته إلى سنة 1921م، ومحاولاته في التأليف تعود إلى بدايات مبكرة لتدل على نبوغه مذكرة إيانا بنوابغ العلماء في كل أمة وفي كل جيل، وتنوعت أعماله ما بين تأليف وتدريس وإصلاح اجتماعي وقد انداحت دائرة مؤلفاته فشملت علوما عدة في الأخلاق والأصول والبلاغة والتفسير والتجويد والتاريخ والحديث ومصطلحه والحساب والرسم والطب والصرف والفقه والعروض والفلك والفرائض والفلسفة واللغة والمنطق والنحو ومراسلات مختلفة.[11]

وهي أعمال تدل في مجملها على سعة اطلاع الشيخ واشتغاله بعلوم متعددة تعليما وتأليفا وتدريسا، وهي تعطينا تصورا عن منهج الشيخ وفكره، فقد كان له إلمام واسع بجوانب الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية في عصره، وعاش منشغلا بقضيتين أساسيتين هما مقاومة الاستعمار، وإقامة نهضة بوادي ميزاب، وقد تجلى ذلك واتضحت في آثاره، وفي حياته بمختلف مراحلها.[12]

الدراسة النظرية:

إن التلاقح الثقافي والتواصل الحضاري من سنن اللغات والمجتمعات، فالاقتراض اللغوي والتعريب ظاهرتان قديمتان في اللغة العربية كغيرها من اللغات، وقد كانت البحوث وافرة في هذا السياق، لكن عندما يتعلق الأمر بالقرآن الكريم تأخذ المسألة طابعا آخر، يختلف فيها الدارسون طرائق، يغذي الخلاف خصوصية النص المقدس لاسيما وقد وقعت آيات بينات تنص على كونه نزل بلسان عربي مبين، فهل وقوع اللفظ الاعجمي ينفي عربيته؟ وما العمل بالكلمات التي وردت في الذكر الحكيم من اللغات الأخرى؟ هل لها وجه معلوم في اللغة؟ أم هي الفاظ أعجمية صريحة.

القائلون بوجود اللفظ الأعجمي في القرآن:

ينسب الى الفقهاء والمحدثين مظاهرتهم وإقرارهم بمبدأ وجود الاعجمي في القرآن، وهذا بناء على افتراضهم أن التواصل الحضاري فريضة، واحتسابا لما وقع للعرب من تماس وتواصل حضاري مع الأمم الأخرى في حلهم وترحالهم؛ فقد ورد في كتاب الإتقان عن أبي بكر الواسطي في كتابه "الإرشادات في القراءات" في القرآن من اللغات خمسون لغة قريش وهذيل وكنانة ...ومن غير العربية الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر...[13]

وقال غيره بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الالسنة في أسفارهم فانتقت من لغاتهم الفاظا غيرت بعضها بالنقص من حروفها، واستعملتها في

أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل القرآن.[14]

وقد أورد ابن جرير الطبري في تفسيره سلاسل متواترة عن العلماء من شيوخه وهم يخرجون لأصول كلمات وقعت في القرآن الكريم من اللغات الاعجمية مثل قوله: «حدثنا محمد بن حميد الرازي قال حدثنا حكام بن سلم قال حدثنا عنبسة عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن أبي موسى عن قوله تعالى: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾[15] قال: الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة»[16]

وروي عن أبي عبيدة عن عدة علماء كما ورد في كتاب الزينة نسبة أحرف كثيرة من القرآن الى لغات أعجمية، روي ذلك عن ابن عباس وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وطاوس؛ فلفظة الطور بمعنى الجبل سريانية، وكذلك لفظة اليم بمعنى البحر، والصراط بمعنى الطريق رومية، ومشكاة كلمة حبشية، وهيت لك بمعنى تعال بالحورانية، قال أبو عبيدة هذه اقوال أهل العلم والفقهاء.[17]

ومن المفسرين المغاربة المتأخرين ابن عطية، الذي كان موافقا لهذا الطرح، قال: «بل كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتها بعض مخالطة لسائر الألسن بتجارات ورحلتي قريش، وسفر مسافرين كسفر أبي عمرو الى الشام، وسفر عمر بن الخطاب وسفر عمرو بن العاص إلى الحبشة ... فعلقت بألسنتها الفاظ أعجمية واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح، فإن جهلها العربي فكجهله لما في لغة غيره»[18]

ويبدو أن السيوطي في كتابه الاتقان يؤيد هذا الزعم ، والدليل على ذلك أنه أحصى أغلب ما ورد في القرآن الكريم من الفاظ أعجمية ، في نحو ما ينيف عن مئة لفظة، بعد أن أورد رأيه الصريح في المسألة وقد جاء في لحن قوله ما معناه: وأقوى ما رأيته للوقوع ، وهو اختياري ما أخرجه ابن جرير عن أبي ميسرة التابعي الجليل؛ في القرآن من كل

لسان، وروى مثله سعيد ابن جبير ووهب بن منبه؛ فهذه إشارة الى أن القرآن حوى علوم الأولين والآخرين، فلابد أن تقع فيه الإشارة الى أنواع اللغات والألسن لتتم له الإحاطة بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالا، ثم رأيت ابن النقيب والخويي صرحا بذلك وعدا ذلك من مناقبه ومحاسنه ومن دواعي اكتمال إعجازه.[19]

العلماء القائلون بالنفي:

نجد هذه الفرقة لها أدلتها المؤسسة المنبثقة من الواقع اللغوي والاجتماعي والقرآن نفسه، فمن أسباب المجاراة وجب أن ينتقي من كل لسان، ولاكتمال فصاحته وجب أن يتخذ من الالفاظ أفصحها بحيث لا يمكننا أن نبدل لفظة مكان لفظة. وعندما تواجهها الآية صريحة بكون القرآن نزل بلسان عربي مبين؛ تقول إن الكلمة والكلمتين لا تخرج القرآن من وصفه نزل بلسان عربي، والرأي ينسب إجمالا الى الفقهاء كما أسلفنا القيل غير أن جمهور اللغويين وعلى رأسهم الشافعي يردون هذا القول، بل يشددون النكير على من يزعم ذلك، وذلك انطلاقا من القرآن الكريم نفسه، وانطلاقا من أدلة مؤسسة تارة، وتارة أخرى لا تعدو فوق كونها حجج كلامية.

يقول الشافعي:« وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به، وأقرب الى السلامة له، فقد قال منهم إن في القرآن عربيا وأعجميا، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان عربي»[20]. الظاهر أن الامام الشافعي يبني رأيه على ما ورد من آيات قرآنية في هذا الشأن، كما فعل الزركشي إذ قال: «اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب؛ فلا يجوز قراءته وتلاوته إلا بها لقوله تعالى: ﴿إنا انزلناه قرآنا عربيا﴾، وهذا يدل على أنه ليس فيه غير العربي؛ لأن الله تعالى جعله معجزة شاهدة لنبيه عليه الصلاة والسلام، ودلالة قاطعة لصدقه ولتحدي العرب العرباء به فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة»[21]

وتصديقا لنصوص الآيات ومعانيها لا نرتاب حسب قول أبي عبيدة معمر بن المثنى في عربية القرآن وأنه نزل بلسان عربي مبين؛ فمن زعم أن فيه غير لغة العرب فقد أعظم، ومن زعم أن "طه" بالنبطية بمعنى "ضعها يارجل"، فقد أكبر، وإن لم يعلم ما فيه، وهو افتتاح الكلام، وهو اسم لصورة، وشعار لها وقد يوافق اللفظ اللفظ ويقاربه،ومعناهما واحد أحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها.[22]

وقد ذهب إسماعيل بن عمرو المقرئ إلى ما يشبه هذا القول، وعده قولا جديدا؛ فهو لم يشر إلى أن الالفاظ كانت أعجمية فعربت، بل التمس سبيلا جديدا كما زعم؛ فقال وافقت لغة العرب في هذه اللفظة لغة القبط والسريان، فورد في اللغة العربية وورد في لغة أعجمية، وهذا المذهب هو تأييد لمن قال إن القرآن ليس فيه شيء من غير لسان العرب.[23]

وزعم الطبري في تفسيره غير بعيد عن هذا القول، حين أراد أن يوفق بين ما سمعه عن شيوخه، وبين رأيه القاضي بعدم ورود الألفاظ الأعجمية في القرآن؛ فقال إن اتفاق الالفاظ من باب اتفاق اللغات، وتوارد الخواطر والمعاني،[24] وهذا ما استبعده ابن عطية؛ فقال بل إحداهما أصل، والأخرى فرع في الأكثر مع أنه لا يدفع أيضا جواز الاتفاقات إلا قليلا شاذا.[25]

ولا نعدم بعض الآراء التي حاولت أن توفق بين المذهبين، وحاولت الجمع بين الزعمين، لما لهما من وجاهة، وقد نستثني بعض المبالغات وبعض الزعوم من الجانبين، من المناصرين لوجود اللفظ الاعجمي ومن المعارضين لوجوده، وقد أورد ابن قتيبة في كتابه "تفسير غريب القرآن" زعم بعضهم نقلا عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿إذا الشمس كورت﴾[26] إنها "غورت" من قول الناس بالفارسية: "كورد بكرد" على سبيل النحل والوضع.[27]

نقول طفقت بعض الآراء توفق بين الزعمين لما لهما من وجاهة؛ فهذا أبو عبيدة يقول الصواب عنده – والله اعلم– إن هذه الحروف أصولها أعجمية، إلا انها سقطت للعرب فعربتها بألسنتها، وحولتها عن الفاظ العجم فصارت عربية، فمن قال إنها عربية فقد صدق، ومن قال إنها أعجمية فقد صدق، وقد نسب ابن جني في "الخصائص" لأستاذه أبي علي الفارسي هذا القول: إذا قلت طاب "الحشكتان"؛ فهذا من كلام العرب لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته في كلام العرب.[28]

رأي العلماء المحدثين:

وعندما ننقلب إلى آراء المحدثين نجدهم على منوالي القدامى مختلفين بين مؤيد ومعارض، فإذا كان للقدماء فضل السبق وربما مزية التحقيق، لقرب عهدهم يومئذ باللغة العربية الفصيحة ومشاربها ولفهمهم إياها بعمق؛ فإن للمحدثين فضلهم في التعمق وتناول الظاهرة في مجال أوسع، في إطار ظهور الفصائل والمجموعات اللغوية، وفي خضم ظهور الدراسات اللغوية المقارنة، وفي إطار ظهور من اطلعوا على اللغات السامية من الدارسين المشارقة العرب والمغاربة المستشرقين.

وقد يزري بالدراسات اللغوية الحديثة بعد العهد، وكذا التأثر الذي لا يبنى على أساس سواء بالعرب أو بالمستشرقين، كما قد يزري بالدراسات القديمة تناولها للمسألة بسطحية في كلا الحالين، بناء على سنن التلاقح وفقط في حال التأييد، واعتمادا على ظاهر الآيات القرآنية في حال المعارضة. وربما بشيء من العصبية في كلا الحالين، ولذا نجد الدراسات القديمة والحديثة مهمة للاطلاع على هذه الظاهرة.

وممن تأثروا بالقدماء في دراسة هذه الظاهرة نجد محمود محمد شاكر، وهو معروف بتحقيقاته ودراساته العميقة للأدب العربي، فمن غير الغريب أن يورد قوله هذا: «والعرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجودا، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها، بله الفارسية وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب

مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التي يظن أن أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعله من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده»[29] ويؤكد زعمه هذا في موضع آخر: «ونحن عند رأينا الذي ذهبنا اليه فيما مضى أن ليس في القرآن من غير لغة العرب شيء، وهذا الحرف (يريد كلمة دينار) نجده في الشعر العربي القديم وقد جاء في القرآن»[30]

يعلق عبد الصبور شاهين الذي أورد القول في كتابه "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث" بقوله وواضح أن الحجج التي لجأ اليها الشيخ شاكر كلها ظنية يعرف صاحبها مدى صدقها، فهو يصدرها بأدوات الظن (لعل ويحتمل)، إذ أن اليقين في هذه المشكلة لا يتاح الا لعلماء المقارنات اللغوية، واعتماد الشيخ شاكر في وجهة نظره هذه إنما كان على المراجع القديمة التي كتبت قبل أن تعرف الفصائل والمجموعات اللغوية.[31]

عبد الصبور شاهين يتبنى الرأي المؤيد من خلال تعقيبه على كلام شاكر، وربما من حسنات كتابه القراءات القرآنية أن أورد فيه القراءات الشاذة للألفاظ الاعجمية، وهكذا يتضح مدى قربها وبعدها عن لفظها الأصلي فدراسة هذه الظاهرة وهي معومة في علم القراءات، وفي إطار الدراسات اللغوية المقارنة مفيد ومثبت حسب عبد الصبور شاهين أن اللفظ الاعجمي وقع في القرآن مما لا ريب فيه، وعلينا فقط أن نحتاط لأن العرب إذا أدخلت اللفظ الاعجمي في لسانها حسب ابن جني تصرفت وخلطت فيه، مستشهدا بإيراد الراجز لكلمة "مزرج" في قوله:

هل تعرف الدار لأم الخزرج منها فظلت اليوم كالمزرج[32]

قال: أي الذي شرب الزرجون، وهي الخمر فاشتق المزرج من الزرجون وكان قياسه كالمزرجن، من حيث كان النون قياسها أن تكون أصلا في زرجون إذا كانت بمنزلة القربوس، والصحيح في نحو هذا قول رؤبة: في خذر مياس الدمى معرجن.

وبهذا يتأكد عمليا ونظريا عند عبد الصبور شاهين وجود الألفاظ الاعجمية في القرآن، ويقرر هذا المذهب غير ما مرة في كتابه للتواشج والتداخل التاريخي بين اللغات السامية، لكن من الصعب القول بنسبة لفظة من لغة سامية الى لغة أخرى مثلها لاسيما في ظل الاختلاف المحتدم بين أسبق اللغات، وبين أصل اللغات السامية، فقد يتفق أن تكون اللفظة من قبيل المشترك بين اللغات السامية الوارثة لها.

يقول عبد الصبور شاهين نقلا عن نولدكه «كلما قوي التشابه بين لغتين كان من الصعب جدا معرفة الكلمات التي أعارتها إحدى اللغتين من الاخرى» ويورد أيضا «أما فيما يخص المفردات فمن حق المرء القول بأن عددا كبيرا منها نوعا ما تلك التي توجد في اللغات السامية المختلفة في صورة ملائمة لأصوات كل لغة منها، يرجع في أصله الى اللغة السامية الأولى، غير أن الضلالة هنا ممكنة بسبب البناء الاستقلالي للكلمات في كل لغة قياسا أو بسبب الاستعارة القديمة»[33]

ومهما يكن من أمر فإن تأثر العربية بغيرها من الساميات وارد ومحتمل حسب نولدكه وعبد الصبور بعده لأنهما يتبنيان مبدأ أسبقية اللغات الأخرى عن العربية سبق تاريخي، انطلاقا من التاريخ المعروف، يقول نولدكه: «واللغة العبرية وكذا الآرامية نفسها أقدم من العربية في بعض القطع» وهذا بعد أن قرر قرب العربية من السامية الأولى مقارنة باللغات الأخرى، ومقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن يبدأ من العربية.[34]

وهذا يبقى عندنا مجرد فرض من الفروض، وربما عاد بنا الحديث الى زعوم العرب القدماء بأن هذه الألفاظ من قبيل المشترك، أو من نصيب العربية أساسا، وخصوصا مع احتدام النقاش في مسألة أصل اللغات وأقربها الى السامية الأولى، نحن لم تصلنا مفردات وقواعد اللغة العربية كلها، على حد زعم أبي عمرو بن العلاء قديما.

ولا تزال الأقوال تتضارب بين الدارسين العرب والمستشرقين، وربما فاجأنا العقاد بقوله :«ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم إن إبراهيم عليه السلام كان

عربيا، وأنه كان يتكلم اللغة العربية وليس، معنى هذا أنه كان يتكلم العربية التي نكتبها اليوم أو نقرأها في كلام الشعراء الجاهليين ومن عاصرهم من العرب الأقدمين، فلم يكن في العالم أحد يتكلم هذه اللغة في عصر إبراهيم ولا في العصور اللاحقة الى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد، وهي لغة الاقوام التي كانت تعيش في شبه الجزيرة العربية وتهاجر اليها ومنها في تلك الحقبة، وقد كانت لغة واحدة من اليمن الى مشارف العراق»[35]، ويقرر في موضع آخر أن تلك اللغة عرفت باسم اللغة السريانية غلطا من اليونان، والعبرية في نحو القرن العشرين قبل الميلاد كانت كلمة عامة تطلق على طائفة كبيرة من القبائل المقيمة في صحراء الشام.[36]

وقد تضاعف هذه البحوث تعقيدات مسألة الفصل في هذه الظاهرة، ومثل هذه التداخلات التاريخية هي ما أدخل طه حسين في الشك في الشعر الجاهلي، عندما أراد التأريخ للغة والشعر الجاهلي، فعاد الى أقرب عهد لانتقال القبائل الجنوبية الى شمال الجزيرة العربية، فمثلت عربية اليوم وعربية الشعر التي بينها وبين لغة الجنوب بونا بائنا، نقول أدخلته في نسيج عنكبوتي لم ينفك منه، ومن هنا تسرب اليه الشك المزعوم، وإلا فإن قبائل لغات الجنوب انتقلت بعد سيل العرم الى شمال الجزيرة العربية في القرن الخامس قبل الميلاد، وتمثلت في قبيلتي الأوس والخزرج اللتين أشار اليهما هو نفسه في كتابه على هامش السيرة.

والمتكلمون بالعربية الجنوبية عرب أيضا يسكنون جنوب الجزيرة العربية[37]، وبينها وبين اللغة العربية تقاطعات أكيدة والدليل على ذلك إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم رسائل بهذه اللغة الى أقيال اليمن في معرض حديثه لكل قبيلة بلسانها.

وأما النبطية فقد كانت لغة قوم نبط والنبط كانوا عربا بل إنهم في نظر بعض الباحثين أقرب الى قريش والى القبائل الحجازية التي أدركت الاسلام[38] ، فبقدر ما تنجلي المشكلة مع تطور العلوم، بقدر ما تتأزم مع الاكتشافات الأثرية اللغوية الحديثة، ومن يطلع على

النقوش العربية التي كانت في العصر الجاهلي يقف على قدر تداخل اللغات وتشابكها الى عهد قريب من العصر الجاهلي، فعلاقة العربية بأخواتها الساميات علاقة فرد بأسرة لغوية واحدة، و من الطبيعي أن يحمل هذ الفرد موروثات أسرته وخصائصها التكوينية.[39] فهل يمكن القول بأن أغلب الالفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها هي الفاظ سامية، كما استنتج عبد الصبور شاهين.

الدراسة التطبيقية:

إذا علمنا أن الأعلام الأعجمية الواردة في القرآن رجحان أعجميتها ثابت، لأنها نقلت من اللغات الأخرى كما هي الى اللغة العربية، وإن وردت اختلافات حول تحملها لمعنى بالعربية، وحول إمكان صرفها، على الرغم من أن أكثرها في القرآن الكريم أتى ممنوعا من الصرف، وإذا علمنا أن المفسر الشيخ أطفيش انتحى منهج القدامى في تفسيره غالبا؛ فإن رأيه في مجمل المواضيع اللغوية هو رأي القدماء، يورد آراء القدماء يرجح بعضها، ويرد بعضها، ويورد الاقوال المتعارضة والمتقاربة في بعض الأحيان ويدعها بدون ترجيح.

وفي تناوله لمسألة الاعلام الاعجمية نجده يتوقف عندها، ويورد مجمل الآراء حولها، فيفصل مرة ويدع الامر للقارئ تارة أخرى، بعد أن يدله على مختلف الفروض والآراء، لكنه من غير شك ذو اطلاع واسع عميق على اللغة، وعلى مذاهب التفسير ومذاهب اللغة، لان اللغة من العلوم الضرورية للمفسر، و قد تداخلت هذه المناهج في تفسيره لتشكل منهجا متفردا، لا يغفل عن مسألة من المسائل على حساب سواها، فهو من غير شك مطلع على الاتجاه الاشتقاقي في اللغة الذي يرد كل لفظة الى جذرها وأصلها العربي، وقد تبنى هذا المذهب الزجاج وأبو عبيدة والرازي في كتابه الزينة، ونجده عند المفسرين المتأخرين متجليا في الدر المصون للسمين الحلبي ، ومطلع على الاتجاهات الأخرى مثل اتجاه ابن جني الذي يورد تصاريف الكلمات وأوزانها، ولكنه لا ينحاز لأي

منها بل يكتفي بإيراد مختلف الأقوال، وسنتعرض فيما يلي الى رأيه في بعض الالفاظ، فنمر مر السحاب على بعضها، ونتوقف عند بعضها كعينة للدراسة.

فحول قوله تعالى ﴿يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾[40] يقول اطفيش هاروت وماروت لفظان أعجميان، وقيل عربيان من الهرت والمرت بمعنى الكسر، ويرده منع الصرف واسمهما "عزا وعزايا" فلما أذنبا سميا باسم الكسر[41] ، وعلى هذا الرأي صاحب البحر المحيط الذي رد قول القائل باشتقاقهما من الهرت والمرت بدليل منعهما من الصرف، وذلك بعد أن أورد مختلف القراءات والأوجه الإعرابية، فالجمهور قرأ بفتح التاء على أنهما بدل من الملكين، وتكون الفتحة علامة للجر، لأنهما لا ينصرفان، وقيل بدل من الناس فتكون الفتحة علامة للنصب، ولا يكون هاروت وماروت اسمين للملكين، وقيل هما قبيلتان من الشياطين، فعلى هذا يكونا بدلا من الشياطين فتكون الفتحة علامة للنصب على قراءة من نصب الشياطين، وأما من رفع الشياطين فانتصاب هاروت وماروت يكون على الذم، كأنه قال: أذم هاروت وماروت.[42]

وإبان تفسيره لقوله تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾[43] قال عن فرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان عمر أكثر من اربعمائة سنة، ولقبه فرعون، والفرعنة الدهاء والمكر كذا قيل، ولعله تصرف بالعربية من لفظ أعجمي لا عربي بدليل منعه من الصرف، فإنه لا علة فيه مع العلمية سوى العجمة التي ندعيها، وهو من ذرية عمليق بن لاود بن إرم بن سام بن نوح.[44] وقد قال قبله السمين الحلبي في شأن اللفظة: فرعون خفض بالإضافة، ولكنه لا ينصرف للعجمة وللتعريف، واختلف فيه هل هو علم شخص أو علم جنس، فإنه يقال لكل من ملك القبط ومصر فوعون، مثل إطلاقهم كسرى لكل من ملك الفرس، و إطلاقهم قيصر لكل من ملك الروم، والنجاشي لكل من ملك الحبشة، وبطليموس لكل من ملك اليونان، وأورد قول الزمخشري: إن

فرعون لقب لكل ملك، ولعتو الفراعنة اشتقوا من تفرعن، نقول تفرعن فلان إذا عتا وتجبر، وهذا ظاهر كلام الجوهري، بقوله إنه مشتق من العتو، يقال هو ذو فرعنة أي ذو ذهاء ومكر، غير أن المسعودي قال "ولا يعرف لفرعون تفسير بالعربية"[45]

وحين عرضت للمفسر أطفيش لفظة جبريل في سياق الآيات، قال عنها: وجبريل علم أعجمي وزعم بعض أنه علم عربي مركب من جبروت الله، غير أن مثل هذه الاشتقاقات لا نلفيها في عرف العربية، وقد تعرض للفظة الزمخشري، فعرض مجمل القراءات للفظة، قال وقرئ جبرئيل على وزن قفشليل، وجبرئل بحذف الياء، وجبريل بحذف الهمزة، وجبريل مثل قنديل، وجبرائيل بوزن جبراعيل، وجبرائل بوزن جبراعل، ومنع الصرف للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله.[46]

ويتعرض الشيخ اطفيش لأصل الكلمة واشتقاقها حين تناوله لكلمة طالوت، إذ قال: وطالوت عبراني ولو كان على وزن فعلوت، من الطول بفتح العين لشدة طوله، وأصله طولوت بفتح الواو، قلبت ألفا لتحركها بعد فتح، ولا يصح أنه منع الصرف لشبه العجمة، لأن رهبوتا ورغبوتا ورحموتا وملكوتا ونحوهن يصرفن، ولا يصح أنه معدول عن الطول أو الطويل، إذ لا يعرف عن ذلك وجه بل عن فاعل فمنع الصرف للعلمية والعجمة كما صدرت به، وقيل عربي منع الصرف للعلمية وشبه العجمة، إذ ليس ذلك من أوزان العربية الغالبة.[47] وقد قال ابن عطية: طالوت اسم أعجمي معرب ولذلك لم ينصرف، وإن روي عن السدي أن الله أرسل الى شمعون عصا، وقال له من دخل عليك من بني إسرائيل على طول هذه العصا فهو ملكهم، فقيس بها بنو إسرائيل فكانت تطولهم حتى مر بهم طالوت، وكان رجلا سقاء فدعوه فقاسوه بالعصا فكان مثلها.[48] ومثل هذه القصة تحيل على إمكانية اشتقاق اللفظة كما أشار، اطفيش غير أنه يؤكد على عدها لفظة أعجمية.

آدم

يقول اطفيش آدم بوزن أحمر من الأدمة بمعنى السمرة، ولابأس بها في الجنة، لأنه لم يدخلها جزاء، أو سمر بعد الخروج، وفسر بعضهم الأدمة بمعنى البياض، أو من الأدمة بفتح الهمزة والدال وهو القدوة، أو من أديم الأرض أي من جلدها أي ظاهرها، وقيل عجمي بوزن شالخ وآزر، فألفه أصل.[49] وهكذا نجد المفسر يعرض مختلف احتمالات اشتقاقها الواردة في المعاجم، ويخرج لما يمكن أن يتناقض منها، ولكنه في موضع آخر يقطع أو يكاد، فيقول وآدم اسم علم عجمي على الأصح لا معنى له سوى ذاته، كما هو الأصح.[50] ويورد الأوجه الأخرى اتباعا لمعظم المفسرين الذين يجعلون اللفظة أعجمية، وهذا صاحب اللباب في علوم الكتاب يتعرض لأوجهها بالتفصيل، فيذكر أن كنية أبو البشر أو أبو محمد، وأصله بهمزتين لأنه أفعل، إلا أنهم لينوا الثانية، فإذا احتجت الى تحريكها جعلتها واوا، فقلت أوادم في الجمع، لأنه ليس لها أصل في الياء معروف فجعلت الغالب عليها واوا عن الأخفش، ويقرر: في آدم ستة أقوال أرجحها أنه علم أعجمي لا اشتقاق فيه، ووزنه فاعل كنظائره نحو آزر وشالخ، وإنما منع الصرف للعلمية والعجمية الشخصية، ويحتمل على حد قوله أن يكون عبريا من الإدام وهو التراب، ويستنتج أن حاصل ادعاء الاشتقاق فيه بعيد، لأن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق ولا تصريف.[51] وهذا عين ما نجده في كتاب المفردات للراغب الأصفهاني و المعجم الوسيط وغيرهما من المعاجم، ويرد بعض الباحثين المحدثين عربية اللفظة استنادا الى أمرين أولهما امتناعه من الصرف في نصوص القرآن، وثانيهما كون آدم أبا البشر خلق قبل وجود العربية[52] ولكن مسألة وجود العربية حينها وعدم وجودها مسألة خلافية لا تزال البحوث تتخبط فيها، فإذا كان سببه الأول وجيها؛ فإن الثاني لا يمكن أن نطمئن له ونستأنس به.

إبليس:

إن كلمة إبليس غير مرتبطة بالنص القرآني، فقد وجدت مند بدء الخليقة كما تنص الآيات القرآنية في قصته مع آدم عليه السلام، وإن كان تفسير الآيات ملتبس الى حد بعيد بغير قليل من الأساطير والإسرائيليات غير أن الثابت إن إبليس عرف عند مختلف الأمم في الاجتماع وفي الادب، إذ نجد له حضورا في الادب العربي القديم وحتى في الادب الغربي الحديث، وتبعا لذلك سوف تتشعب الآراء في اصطلاح هذه الكلمة، فقد أورد العقاد اختلاف الدارسين في أصل الكلمة كما اختلفوا في نسبتها الى احدى اللغات السامية، منهم من يرى أن أصل الكلمة يونانية من ديابلوس DIABOLOS ، التي تفيد معنى الاعتراض والدخول بين شيئين.[53] ولكننا لا نعدم آراء تثبت نسبتها الى العربية، فهذا ابن خالويه في كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم يقول سمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله، أي يئس، وكان اسمه عزازيل.[54]

ونقل عن بعض اللغويين: أبلس عربي مشتق من بلس، نقل عن الراغب الإبلاس الحزن المعترض من شدة اليأس، ومنه اشتق إبليس، وعلى هذا الرأي ابن منظور مستندا الى قوله تعالى: ﴿يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾[55]

واختلافهم في لفظة إبليس كاختلافهم في لفظة الشيطان، فإذا كان العقاد يعتقد أن كلمة شيطان عبرية بمعنى العدو، لأن ديانة موسى عليه السلام سابقة للمسيحية وللإسلام، ولا يستبعد أن تكون أقدم من نظائرها البابلية، فإنه بالمقابل يرى أنه لا مانع من اشتقاقها العربي، لأن العربية حوت مختلف الجذور التي يمكن أن تشتق منها لفظة الشيطان، ففيها مادة شاط وشط وشوط وشطن، وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلهب والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تفهم من كلمة شيطان.[56] ولكنه لا يرجح كون اللفظة عربية على الرغم من وجود جذور الكلمة كما فعل القدماء، فقد قال ابن خالويه والشيطان يكون فعلان من شاط يشيط بقلب ابن آدم، وأشاطه أي

أهلكه، ومن شاط بقلبه أي مال به، ويكون فيعلا من شطن أي بعد كأنه بعد عن الخير.[57]

وننقلب الى مدونتنا نستخلص منها ما قاله القطب بشأن لفظة إبليس، إذ منعها من الصرف للعلمية والعجمة، وأورد ما يمكن أن تشتق منه من الجذور العربية، قد تكون بزعمه عربي بمعنى اليأس من الخير أو من الابتعاد عنه، وكونه على وزن إحليل وإكليل ول غير أعلام.[58] وهو ما أورده القدماء، فقد نقل ابن عطية عن ابن عباس والسدي وأبو عبيدة وغيرهم؛ إبليس مشتق من أبلس، إذا بعد عن الخير ووزنه إفعيل، ولم تصرفه هذه الفرقة لشذوذه.[59]

إدريس:

الظاهر إن القطب استند الى تاريخ الطبري حينما تعرض لكلمة إدريس، وقد ساير القدماء في مختلف الأخبار التي نقلها عنه إلا قليلا، ذكر أنه نبي قبل نوح عليه السلام، وهو أخنوخ بضم الهمزة وفتحها، بن برد بن مهلاييل بن انوش بن فينان بن شيت بن آدم عليه السلام في رواية عن ابن عباس، وعن وهب ابن منبه إدريس جد نوح ولكن المشهور إنه جد أبيه وما نسب اليه من إفضال في السبق يدل على أقدميته وأسبقيته فهو أول من نظر في النجوم والحساب، وأول من خط بالقلم، ولبس المخيط، وأول من اتخذ المكاييل، وأول مرسل بعد آدم، أنزلت عليه ثلاثين صحيفة.[60]

الأهم في هذا كله إن اطفيش قد أورد ما أورده الطبري بأن ذكره بالهمزة في حين نجده في الكامل خنوخ[61] بغير همزة في أوله، والمهم عندما أثبته قبل نوح عليه السلام، إذ نجد أن من القدماء من يورده بعد نوح، وقد يستند بعض المحدثين الى الآيات التي ورد فيه عليه السلام بعد نوح وغيره من الأنبياء، والى ما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عرج به الى السماء فالتقاه في السماء الرابعة ولكن الدليل يعوزه.

وإذ يتبنى اطفيش القدماء في بعض النقول؛ فإنه يخالف ما تواتر من رواياتهم بكونه سمي إدريس لكثرة مدارسته، فيقول وهو لفظ سرياني عند الأكثر لا مشتق من الدرس لأن الاشتقاق من غير العربية لا يقول به أحد، ولوكان عربيا لصرف، إلا أن يكون في اللغة قريب المعنى من ذلك فلقب به لكثرة درسه.[62]

آزر:

أفاضت الكتب في سيرة إبراهيم قبل الكتب الإسلامية، فقد جاء في كتاب "إبراهيم أبو الانبياء" للعقاد نقلا عن سفر التكوين أنه ولد في أور الكلدانيين، يرتفع نسبة الى سام بن نوح علي السلام، وهو ابن تارح بن ناحور بن رغو بن فالج بن عابر بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليه السلام، وجاء في الإصحاح الحادي عشر ما يشبه هذا الكلام.[63]

وما يهمنا هنا هو اسم أبيه تارح بالحاء، وإن كانت بعض الكتب تذكره بالخاء كما سوف نرى عند القطب وقد يكون من المفيد للفصل في كلمة آزر اسم له أم كنية، وللفصل في شأنها ممنوعة أو غير ممنوعة من الصرف التعرض للقراءات القرآنية التي تليت بها اللفظة، فقد وردت قراءتان عشريتان في هذه الكلمة، بالفتح وهي قراءة ابن كثير ونافع ابن عامر وأبو عمرو بن العلاء وعاصم وحمزة والكسائي، وبالضم على أنه منادى، وهي قراءة يعقوب الحضرمي.[64]

وفي معاني الفراء أن آزر في موضع خفض ولا يجرى، لأنه أعجمي، وقد أجمع أهل النسب على أنه بن تارح فكان آزر لقبا له، وقد بلغني أن معنى آزر في كلامهم معوج، كأنه عابه بعوجه وبزيغه عن الحق، وقد قرأ بعضهم لأبيه آزر بالضم على النداء وهو حسن.[65]

وعندما يتعرض له اطفيش يورد مختلف هذه المعاني، فهو تارخ عنده بالخاء المعجمة كما في التوراة وتاريخ الطبري، وبالمهملة عن بعض، وربما تيرح عن بعض، وتارخ

بالمعجمة لقب أو العكس، والأولى أولى لما روي أنه كان يعبد صنما اسمه آزر فسمي به، وقدر بعض لأبيه عابد آزر، وقيل آزر صنم مفعول لمحذوف أي أتعبد آزر، وقيل لما كان مع نمرود قيما على خزائن آلهته سماه آزر، والقيم على الخزانة يقال له في لغتهم آزر.[66] وهكذا نجد أن معرفة حقيقة اللفظة عند اطفيش يوجب الوقوف على معناها في لغتها، وهذا لا يستقيم إلا بالوقوف على مختلف القراءات التي قرأت بها.

وقبل أن يقرر أعجميتها يورد وظائفها النحوية وأوزانها المحتملة؛ فآزر عطف بيان أو بدل أو نصب على الذم، وهذه مختلف الوظائف التي يمكن أن تتحيز فيها اللفظة، ووزنه أفعل أو فاعل بفتح العين أو هو من الأزر أو الورز فمنعه من الصرف للعلمية والعجمة، أو للعلمية ووقوعه على وزن الفعل وهو أفعل، وأصله المخطئ أو المعوج أو الهرم، وجعل علما وليس نعتا، فمنع أيضا للعلمية ووزن الفعل.[67] والظاهر إن اطفيش يميل الى كون اللفظة أعجمية وإن قلبها على مختلف وجوهها.

إرم:

اختلف العلماء حول هذ ا الاسم. أما مفسر جزائري كابن باديس رحمه الله فقد جعلها اسم لقبيلة، بينما مفسر كابن عطية فيورد الاختلاف استنادا الى النصوص والأشعار ،عن مجاهد وقتادة هي القبيلة بعينها استنادا الى ما ورد من أشعار كبيت ابن قياس الرقيات وبيت زهير بن أبي سلمى، وعن غيرهما إرم أبو عاد كلها، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وقيل هو أحد أجدادها، وقال جمهور المفسرين إرم مدينة لهم عظيمة كانت باليمن، وقال محمد بن كعب هي الإسكندرية، وقال سعيد بن المسيب والمقري هي دمشق وهذان القولان ضعيفان على حد زعم ابن عطية، وقال مجاهد إرم معناه القديمة.[68]

ولا انفكاك من هذه المسالة الى رأي مرتضى ألا أن نتعرض لأقوال المفسرين فيها ومختلف القراءات التي قرأت بها، ثم تقليبها على أوجهها الإعرابية المحتملة، وهذا ما فعله

القطب في تفسيرة حينما تعرض لهذه اللفظة، موضعها الإعرابي عنده بدل لا عطف بيان، لأنهم عرفوا بعاد أكثر ما عرفوا بإرم. [69] وهكذا خرجت لها أغلب المصادر القديمة والحديثة. [70] ومنع الصرف للعلمية وتأنيث القبيلة، وقدر بعضهم سبط إرم وجعل إرم اسم أمهم، وتفسيره بالجد لا يأبى منع الصرف للتأنيث لأنه المراد أنه اسم جدهم في الأصل، وجعل اسم للقبيلة فمنع لتأنيث القبيلة، وقيل إرم لفظ أعجمي، فمنع الصرف للعلمية والعجمة، وعن الكلبي إرم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود، وكان يقال عاد إرم وثمود إرم، وقيل إرم قبيلة من عاد، وكان فيهم الملك وقيل المتقدمون من عاد يسمون باسم إرم اسم جدهم، وهكذا يتعين على مختلف الوجوه أن إرم اسم شخص ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.[71]

بابل:

جاء في معجم البلدان بابل في العراق، وقيل بابل دنباوند، وقال أبو الحسن بابل الكوفة، وقيل الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل في الزمن الأول، وقيل بابل بناها بيوراسب الجبار، واشتق اسمها من اسم المشتري لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم المشتري.[72]

ومهما اختلفت الروايات وتضاربت في شأن هذه المدينة؛ فإن ما يهم الدارس منها ارتباطها بأمرين أصل اطلاق لفظتها، وقصة تبلبل الألسنة مثلما زعم القدماء، فمنها تفرقت الالسنة وتفرقت البشرية، فلا غرو أن تكون اللفظة محل نزاع، والكلمة ارتبطت منذ الأزل بحديث أقرب الى الخرافة منه الى الواقع.

وعندما نستعرض كلام اطفيش حول هذه المدينة في معرض تفسير لقوله تعالى:﴿يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾[73] نجده يكاد يتطابق مع ما ورد في كتاب معجم البلدان أنها بلد في سواد الكوفة، وعن ابن مسعود هو أرض الكوفة، وقيل من نصيبين الى رأس العين، والله حشر الناس بالريح في

هذه الأرض فلم يدر أحد ما يقول الآخر، ثم فرقتهم الريح في البلاد كل بلغته، فالبلبلة تفرقهم عن بابل أو تغاير الألسنة[74]، وقد أورد أبو حيان قبله مثل هذا الحديث، ولم يضف شيئا غير احتمال كونها مدينة بالمغرب وربما مدينة غير معلومة وجد فيها هاروت وماروت، وسميت بابل لتبلبل الألسنة هكذا نقل عن الخليل وعن الزمخشري.[75]

الخاتمة:

في خاتمة البحث نحصر أهم النتائج التي انتهى إليها البحث فيما يلي:

- ما يزال الجدال قائما بين الدارسين في وقوع اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم، وقد تتدخل علوم أخرى للفصل في هذه الظاهرة كعلم الآثار والفصائل اللغوية ومقارنة اللغات وربما علم الاشتقاق.
- يذكر الشيخ أطفيش مجمل الآراء فيفصل تارة ويترك الفصل تارة أخرى للدارس، ولم يؤول كل الاعلام التي وردت بألسنة أخرى حتى نزعم أنه يقول بالنفي.
- يحكم الشيخ القرآن الكريم كأول مصدر للاستدلال في المسائل العقدية واللغوية والنحوية فهو مصدره الأول على سنة النحاة، وقد كان اهتمامه بالقراءات منقوصا، وإن أشار في مواضع كثيرة إلى قراءات تهم الاستدلال، والحكم مبني على النظر من باب المقارنة بينه وبين أبي حيان الأندلسي وابن عطية والزمخشري، نقول هذا لأن الفصل في قضية الأعلام الأعجمية تارة يعود إلى القراءة القرآنية.
- يذكر أن الشيخ أطفيش يحمل القرآن الكريم على أفصح الوجوه، لأنه يرى أن كلام الله لا يفوقه ولا يقرب من مساواته كلام آخر، فحري بنا أن نحمل آياته على ما يليق بها، يقول أطفيش: والحمد لله الرحمان الرحيم الذي من علي

باطلاعي على تحقيق بلاغته ومشاهدتي لطرقها وإدراكي لها، ولا كلام يفوقه ولا يقرب من مساواته. ومن هذا المنطلق كان يرفض حمل القرآن على رواية شاذة.

- الأخذ بالأصل: كان الشيخ أطفيش يراعي في اختياراته وتوجيهاته ما جاء على الأصل وما جاء به الدليل، ويبتعد عما خالف ذلك، وهذه سمة بارزة في تيسير التفسير، فكثيرا ما يقول: لا داعي إلى تقدير خلاف الأصل، ولا دليل عليه يترك به الأصل، ولا داعي ... ولا دليل... ولا دليل على غير ذلك؛ لأنه الأصل.
- المتتبع لاختيارات الشيخ أطفيش وتوجيهاته في تيسير التفسير يلاحظ حرصه على الابتعاد عن التأويلات والتقديرات والحذوفات متى وجد مندوحة عن ذلك، ولا شك أن الرأي الواضح الخالي من التقدير أولى من غيره، يقول الشيخ أطفيش: لا يترك الظاهر إلى غيره في القرآن لمجرد الإمكان بلا داع، ويقول في موضع آخر: ولا يخفى أن ما ذكرته لعدم إحواجه إلى تقدير أولى.

الهوامش:

[1] – بشير بن موسى الحاج موسى، إسهامات أحمد أطفيش الجزائري في ميدان العلوم، مقال ضمن فعاليات المؤتمر الدولي الأول في تاريخ العلوم عند العرب المسلمين، الشارقة، مارس 2008، ص 03

[2] – ينظر: عمار طالبي، كلمة في ملتقى العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن. محمد عيسى وموسى، أطفيش سيرة ومسار، ضمن فعاليات ملتقى قطب في ملتقى قطب الائمة العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن. التواتي بن التواتي، منهج التفسير عند القطب أطفيش، مقال ضمن فعاليات ملتقى قطب الائمة العلم والعمل لصالح الجماعة والوطن، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، 2011، ص34

[3]– محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المبارك ، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1963، ط1، ج1،ص290.

[4]– أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ الإسلامي، الجزائر، عالم المعرفة، طبعة خاصة، 2011، ص387.

[5] – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ط2، وينظر معجم أعلام الإباضية، ج4، ص836.

[6] – أطفيش، الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، تعليق أبو إسحاق إبراهيم، وينظر: إبراهيم بن بكير حفار القراري، السلاسل الذهبية في الشمائل الطفيشية، ط2، ص20.

[7]– مصطفى وينتن، آراء الشيخ أحمد بن يوسف العقدية، الجزائر، جمعية التراث، 1996، ص23.

[8]– ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1979، ط3، ص517.

[9] – آراء محمد بن يوسف أطفيش العقدية، ص24.

[10] – فتحي دادي بابا، منهج الشيخ أطفيش في التعامل مع السنة النبوية، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علوم الحديث، جامعة تلمسان، دفعة 2016، ص 20.

[11] – فتحي دادي بابا، المرجع السابق، ص54.

[12] – وينتن، المرجع السابق، ص64.

[13] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تعليق مصطفي شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، سنة 2008، ط1، ص287.

[14] – السيوطي، المرجع السابق، سنة 2008، ص287.

[15] – سورة الحديد، الآية 28.

[16] – الطبري، جامع البيان عن تأول آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، القاهرة، دار ابن الجوزي، ج1، ص

[17] – الرازي، الزينة في الكلمات في الإسلامية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، سنة 1994، ط1، ص 14.

[18] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق ابي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث، ص 289.

[19] – السيوطي، سنة 2008، ص287.

[20] – ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص289.

[21] – الزركشي، المرجع نفسه، ص 289.

[22] – الرازي، سنة 1994، ص143.

[23] – إسماعيل بن عمرو المقرئ، كتاب اللغات في القرآن، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة الرسالة، ط1، سنة، ص14.

[24] – الطبري، المرجع السابق، ج1، ص

[25] – الزركشي، المرجع السابق، ص 289.

[26] – التكوير، الآية 1

[27] – ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية، ص359.

[28] – ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية ص359.

[29] – عبد الصابور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، الجيزة، دار طيبة سنة 2008، ص3017

[30] – عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، سنة 2008، ص318.

[31] – عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، سنة 2008، ص 318.

[32] – ابن جني، الخصائص، ص360.

[33] – عبد الصبور شاهين، المرجع السابق سنة 2008، ص 341

[34] – عبد الصبور شاهين، مرجع سابق 2008، 342.

[35] – العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، ط7، 2007، ص124

[36]– العقاد، المرجع السابق، 2007، ص 125.

[37] – عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، 2008، ص342.

[38] – عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، 2008، ص 342.

[39] عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، 2008، ص 342.

[40] – البقرة، الآية 102.

[41] أطفيش، تيسير التفسير، سنة، ص202

[42] أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث، ج1، ص 477.

[43] البقرة، الآية 47

[44] أطفيش، تيسير التفسير، سنة ج1 ص102.

[45] – السمين الحلبي، ج1، ص344.

[46] – الزمخشري، 1998، ج1 ص85.

[47] – أطفيش، تيسير التفسير، ج1، ص199.

[48] – ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، سنة 2001، ط1، ج1، ص332

[49] – أطفيش، تيسير التفسير، ج1، ص62.

[50] – اطفيش، المرجع السابق، ج1 ص65.

[51] – أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، 1998، ج1، ص 512.

[52] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، الاعلام الاعجمية في القرآن (تعريف وبيان)، دار القلم، 2013، ط2، ص10.

[53] – عباس محمود العقاد،إبليس، مصر، نهضة مصر للطباعة، 2007، ص 29

[54] – ابن خالويه،1985 إعراب ثلاثين سورة، ص07.

[55] – الروم، الآية 12.

[56] – العقاد، إبليس، 2007، ص 29.

[57] – ابن خالويه، المرجع السابق،1985، ص07.

[58] – اطفيش، مرجع سابق، ج1 ص68.

[59] – ابن عطية، المحرر الوجيز، 2001، ج1، ص 125.

[60] – اطفيش، تيسير التفسير، ج2 ص68.

[61] – ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ط4 ج1، ص52

[62] – اطفيش، تيسير التفسير، 2007، ج1، ص68.

[63] – العقاد، إبراهيم أبو الانبياء، ص13

[64] – الخالدي، المرجع السابق، 2013، ص 58.

[65] – الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب ،1983، ط3، ص340.

[66] – اطفيش، تيسير التفسير، ج1، ص470

[67] – اطفيش، تيسير التفسير، ج1، ص470.

[68] – ابن عطية، المحررالوجيز، 2001، ج5، ص478.

[69] – اطفيش، تيسير التفسير ج12، ص380.

[70] – الخالدي، مرجع سابق 2013، ص55

[71] – اطفيش، تيسير التفسير، ج12، ص380

[72] – ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2011، ج1، ص36.

[73] – سورة البقرة، الآية 102

[74] – اطفيش، تيسير التفسير ج1، ص 202.

[75] – أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، ج1، ص 477.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث، إسماعيل بن عمرو المقرئ، كتاب اللغات في القرآن، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة الرسالة، ط1.

أطفيش، تيسير التفسير، تحقيق إبراهيم طلاي، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003، ط4.

ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن.

ابن قتيبة، تحقيق أحمد صقر، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، 2001، ط1.

الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، دار التراث.

الزمخشري،

السمين الحلبي، الدر المصون

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تعليق مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، 2008

الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، القاهرة، دار ابن الجوزي. الجيزة، دار طيبة، 2008، ط1.

عبد الصابور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث،

العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، مصر، نهضة مصر، 2007.

العقاد، إبليس، مصر، نهضة مصر، 2007.

عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب،

الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، 1983، ط3.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق عبد العزيز الجندي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2011.